

العمارة الإسلامية من استقراء التراث العمرانى إلى استنباط نظرية للعمران الإسلامى المعاصر

د/سلامة أحمد على

مدرس العمارة والتخطيط العمرانى بقسم التخطيط العمرانى، كلية الهندسة، جامعة الأزهر

المخلص:

تمثل الحضارة الإسلامية أحد أهم مراحل الإنجاز الحضارى Civilization Achievement التي أثرت حركة الإنسان على الأرض، ويحتل العمران والعمارة الإسلامية وعاءها المادى وأحد روافدها مكانة متميزة بين مختلف الأنماط العمرانية والمعمارية التي عرفتها الحضارة البشرية عبر الزمان والمكان . حيث امتدت أنماط التراث العمرانى الإسلامى عبر مختلف العصور الإسلامية من جاكرتا إندونيسيا إلى طنجة المغرب ومن غاناه إفريقية إلى فرغانه آسيا، فى تكوينات عمرانية تخطيطية وتنويعات وتشكيلات معمارية متقدمة ، وبالرغم من تعدد العصور الإسلامية واختلافها وتعدد الجوانب الحضارية لها، إلا أنها قدمت نموذجا عمرانيا متكاملًا منهج ونظرية وتشريع (عبر بصدق عن شخصية وخصائص المجتمع الإسلامى وغايات ومقاصد نموذجه الثقافى عقيدة وشريعة وأخلاقاً التي كانت وراء الحركة المادية الإبداعية.

ويجد المخطط والمعمارى المسلم المعاصر نفسه أمام معضلة حضارية/عمرانية، فهو من جهة يقف منبهراً بالنموذج التراثى للعمران الإسلامى وإبداعه الفنى والجمالى والهندسى والبنائى . ومن جهة يقف حائراً أمام النموذج العمرانى الغربى المعاصر بمناهجه ونظرياته وتشريعاته المعمارية والتخطيطية وتقنياته وطرق ومواد البناء، الذى أحدث تغييرات حضارية وعمرانية دراماتيكية تهدد استدامة المجتمعات الإسلامية ومواردها وثرواتها الطبيعية والبشرية ، ويقف عاجزاً من جهة أخرى عن صياغة نظرية عمرانية معمارية وتخطيطية تكون منطلقاً فكرياً ومصدر إلهام يسد الفجوة بين الماضى والحاضر، ويصل الإنقطاع الفكرى والإبداعى فى الفكر العمرانى الإسلامى ويساهم فى بناء نموذج العمران الإسلامى المعاصر (منهجاً ونظرية وتشريعاً)

وتتمحور مشكلة البحث حول غياب غايات الفلسفة والفكر الإسلامى عن تشكيل وعى ووجدان وتفكير المعمارى والمخطط المسلم المعاصر، بمعنى غياب النظرية المعمارية التي تمثل المنطلق الفكرى الإسلامى المحفز لعمليات التصميم والتخطيط الإبداعى، الأمر الذى انعكس على إنتاجه المعمارى والتخطيطى ولم يعد يعبر عن المجتمع الإسلامى المعاصر، ومن ثم يهدف البحث إلى استنباط نظرية للعمران الإسلامى المعاصر تتبع من استقراء متغيرات التراث العمرانى ومن فقه ثوابت النموذج الثقافى الإسلامى، وتقدم مسارا فكرياً معاصراً مستمداً من محاولة فهم مكونات ومضامين التكوينات التخطيطية والمعمارية ومركزاً على إطار معرفى لقيم ومقاصد الشريعة الإسلامية .

ويرتكز البحث على المنهج التاريخى الوصفى لنشأة وتطور التراث العمرانى الإسلامى عبر العصور المختلفة، وعلى المنهج الاستقرائى التحليلى لمجموعة منتقاة من الأنماط العمرانية المعمارية والتخطيطية لمعرفة الأسس المعمارية والتخطيطية لها وعلى أسرار تشكيلاتها ونتائجها الإبداعية ، ومن ثم استخدام المنهج الاستنباطى لكشف واستخراج الغايات والمقاصد العمرانية الكامنة التى يمكن أن تشكل نظرية عمرانية معاصرة يركز عليها المعمارى والمخطط المسلم المعاصر لحل مشكلات وتحديات العولمة ليسهم فى صياغة ملامح عالم أفضل بيئة ومجتمع وعمران .

الكلمات الافتتاحية : مقاصد العمران الإسلامى – نظرية للعمران المعاصر – التراث العمرانى الإسلامى.

DOI:10.12816/0036521

ISLAMIC ARCHITECTURE FROM INDUCTING THE URBAN HERITAGE TO DEDUCT A THEORY FOR CONTEMPORARY ISLAMIC URBANISM

Dr. SALAMA AHMED ALI

Urban Planning Dept. – Faculty of Engineering– Al –Azhar University

Abstract:

Islamic civilization represents one of the most important civilization achievements phases that enriched human movement on earth, the Islamic architecture and urbanism as its physical container and one of its tributaries occupies a privileged position among the various urban and architectural styles and patterns known to human civilization across time and space. The Islamic architectural heritage patterns spread through various Islamic eras from Jakarta-Indonesia to Tangier-Morocco and from Ghana- Africa to Ferghana-Asia, in a unique urban planning compositions and variations of architectural forms. And in spite of the multiplicity of Islamic eras and its differentiation and multi-cultural aspects, it provided an integrated urban model (methodology, theory and legislation) reflected honestly the personality and characteristics of the Muslim community and the goals and purposes of the cultural model doctrine, law and ethics, which was behind the creative physical movement.

The contemporary Muslim planner and architect finds himself in front of a civilized/urban dilemma, one hand, he stands impressed by the heritage of the Islamic Urban model and its artistic,aesthetic,engineering and constructive creativity. On the other he stands bewildered in front of the contemporary western urban model and its planning and architectural methodologies,theoriesand legislations,building technologies,methods and materials,which cause dramatic urban and cultural changes threaten the sustainability of the Islamic communities and its human and natural resources andfortunes. And it stands on the other hand,unable to formulating an urban theory for architecture and planning, be an intellectually springboard and a source of inspiration filling the gap between past and present, and connecting the intellectual and creative discontinuation in the Islamic urban thought and contribute in constructingthe Islamic contemporary urban model (methodology, theory and legislation).

The research problem revolves around the absence of purposes of Islamic philosophy and thought from the formation of the awareness,conscience and thinkingof the contemporary Muslim architectand planner,or in another way the absence of the architectural theory, which represents the Islamic intellectual springboard which catalyst the creative design and planning processes, the way it reflected upon his architectural and planning production no longer express the contemporary Islamic society.And then the research aims to deduct a theory for contemporary Islamic urbanism, originates from the induction of the Architectural Heritage variables and the jurisprudenceof the Islamic Cultural model constants, and provides a contemporary intellectually paradigm obtained from a trial to understand the mysteries and contents of the Islamic planning and architectural formations based on a framework of Knowledge of values and purposes of Islamic law (MQASSED ASHAREEAH).

The research based on the historical descriptive methodology of the origins and evolution of urban Islamic heritage across different ages, and on the inductive analytical methodology for eclectic range of urban architectural and planning to figure out the architectural and planning principals of her and the secrets of its formations and creative results, and then use deductive approach to detect and extract the goals and objectives of urban potential that can be that constitute the theory underlying the urban contemporary architecture contemporary Muslim and planned to resolve the problems and challenges of globalization and to contribute to the formulation of the features of a the better world;environment,community and urbanism.

key words: The Purposes(MQASSED) of the Islamic Urbanism –The

Theory for Contemporary Urbanism - Islamic Architectural Heritage.

أهداف البحث: ومن ثم يهدف البحث إلى استنباط نظرية للعمارة الإسلامية المعاصر تتبع من استقراء متغيرات التراث العمراني ومن فقه ثوابت النموذج الثقافي الإسلامي، وتقدم مسارا فكريا معاصرا مستمدا من محاولة فهم مكونات ومضامين التكوينات التخطيطية والمعمارية، ومركزا على إطار معرفي لقيم ومقاصد الشريعة الإسلامية.

مناهج البحث: ويرتكز البحث على المنهج التاريخي الوصفي لنشأة وتطور التراث العمراني الإسلامي عبر العصور المختلفة، وعلى المنهج الاستقرائي التحليلي لمجموعة منتقاة من الأنماط العمرانية المعمارية والتخطيطية لمعرفة الأسس المعمارية والتخطيطية لها وعلى أسرار تشكيلاتها ونتائجها الإبداعية، ومن ثم استخدام المنهج الاستنباطي لكشف واستخراج الغايات والمقاصد العمرانية الكامنة التي يمكن أن تشكل نظرية عمرانية معاصرة يركز عليها المعماري والمخطط المسلم المعاصر لحل مشكلات وتحديات العولمة وليسهم في صياغة ملامح عالم أفضل بيئة ومجتمع وعمران .

عناصر البحث: ويتكون البحث من ثلاثة استقراءات تاريخية وتنظيرية واستنباط فكري تنظيري وآخر تطبيقي (النتائج والتوصيات)، الاستقراء الأول عن تاريخ العمران الإسلامي، والاستقراء الثاني عن النظرية المعمارية من المنظور الغربي، والاستقراء الثالث عن النظرية المعمارية في الفكر الإسلامي. ويأتي الاستنباط الأول والثاني للبحث عن تنظير الباحث للنظرية المعمارية الإسلامية، والاستنباط الثالث بمثابة نتائج وتوصيات البحث عن التطبيقات العملية المطلوبة لتفعيل النظرية في الواقع العمراني المعاصر .

الكلمات المفتاحية : مقاصد العمران الإسلامي - نظرية للعمارة المعاصر - التراث العمراني الإسلامي - النظرية الإسلامية للعمارة الإسلامية .

الاستقراء الأول : ظاهرة العمران الإسلامي من رفع القواعد إلى اكتمال النموذج:

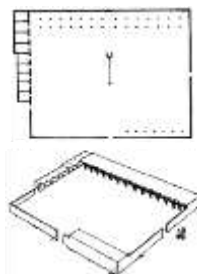
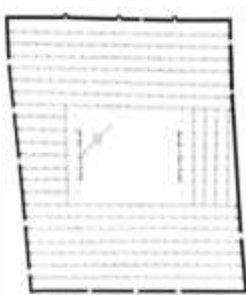
العمران الإسلامي عبر الزمان والمكان الممتد من جاكارتا إندونيسيا إلى طنجة المغرب ومن غانة إفريقية إلى فرغانة آسيا (أوزبكستان) في منطقة هي قلب العالم القديم أو "هلال الإسلام" (حمدان، ١٩٩٠، ص١٩)، يمثل ظاهرة عمرانية غير مسبوقه ليس فقط بما قدمته من تكوينات عمرانية تخطيطية وتنوعات وتشكيلات معمارية متفردة. ولكن ويقدر أهم ما قدمته تلك الظاهرة كنموذج عمراني متكامل عبر بصدق عن شخصية وخصائص المجتمع الإسلامي وغايات ومقاصد نموذجها الثقافي (عقيدة وشريعة وأخلاق) التي كانت وراء التجربة المادية الإبداعية.

• العصر النبوي والراشدي وتأسيس جديد للعمارة والعمران (مرجعية الظاهرة العمرانية) :

يبدأ التاريخ العملي لظاهرة العمران الإسلامي من هجرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم إلى المدينة (يثرب) حتى وفاته وقيام أمة المدينة (١٢ ربيع الأول من السنة الأولى للهجرة إلى ربيع الأول ١١هـ/ من ٢٤ سبتمبر ٦٢٢ إلى ٨ يونيو ٦٣٢م) (مؤسس، ١٩٨٧، ص٣٢)، حيث اقترن العصر النبوي بالبناء والعمران ورفع قواعد وأسس جديدة لعمران المدينة وعمارتها، حيث بنى النبي المسجد لصلاة المسلمين وفق مخطط غير مسبوق لأماكن العبادة الأخرى كالكنائس والمعابد وعلى خلاف بناء الكعبة، وأصبح نموذجا يحتذى به المسلمون في تشييد مساجدهم (شافعي، ١٩٨٢، ص٣)، بل وضعت الأحاديث النبوية معايير بناء المساجد وعناصرها وأهميتها وموقعها ودورها

المجتمعى كمرجعية للعمران الجديد، وتعددت مساجد المدينة على عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وبلغ عددها تسعة فى خطط المهاجرين (عثمان، ١٩٨٨، ص٥٠). ويوضح شكل رقم ١- المسجد النبوى فى العام الأول للهجرة والذى بنيت على نمطه المساجد كمسجد الكوفة والبصرة والفسطاط (المصدر: فريد شافعى، العمارة العربية الإسلامية، ١٩٨٧،). كما

قام المسجد فى العصر النبوى بوظائف كثيرة ، فقد كان إلى جانب كونه مكاناً للصلاة ومدرسة يتعلم فيها المسلمون أمور دينهم ودينامهم، وداراً للفتوى والتشريع، ومحكمة للقضاء والفصل بين المسلمين وإحقاق الحقوق، ومقراً للحكم والشورى وتستقبل فيه الوفود وتجرى فيه المفاوضات والمعاهدات السياسية، وعلاج مرضى وجرحى الحروب، ودار من لادار له ، ومسكناً للفقراء والغرباء (الكعكى، ٢٠٠٧، ص٢٩) .



شكل رقم ١- المسجد النبوى فى العام الأول للهجرة. المصدر:

د. فريد شافعى، العمارة العربية الإسلامية (شافعى نقلا عن كريزويل)

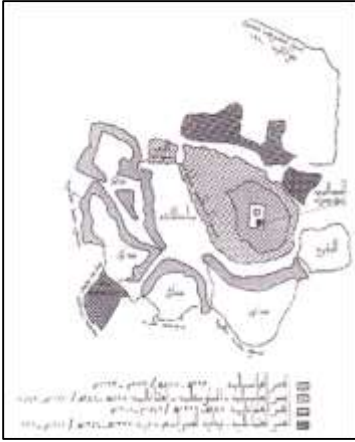
شكل رقم ٢- مسجد عمرو بن العاص بالفسطاط

المصدر: الشبكة العنكبوتية



شكل رقم ٣- مسجد الكوفة بالعراق المصدر: الشبكة العنكبوتية

ويُعد أسلوب الرسول وطريقته فى تخطيط المدينة أسلوباً غير مسبوقٍ فى فكر العمران، وبخاصة فيما يتعلق بسياسات التنظيم والتخطيط المكانى للمناطق السكنية (الخطة) وقلب المدينة بمكوناته (المسجد/السوق/البقيع) (على، ٢٠٠٢، ص١٤٣)، "حيث لم تكن المدينة قبل هجرة الرسول وحدة عمرانية مترابطة بل مجموعة متفرقة من القرى والمنازل مقسمة إلى ٩ محلات سكنية منفصلة، وكان لكل قبيلة أطاما حصينة تحتمى بها بلغت ٥٩ أطما" (عثمان، ١٩٨٨، ص٥٢)، فتحوّلت من عمران النمط القبلى حول حصون ومحلات المنعزلة إلى نمط حضرى تجميعى متجانس.



شكل رقم ٥ تطور نمو الكتلة العمرانية للمدينة المنورة

المصدر: د. عبد العزيز الكعكي، النسيج العمراني للمدينة المنورة، ٢٠٠٧م



شكل رقم ٤- التجمعات العمرانية ليثرب قبل الإسلام المصدر:

د. عبد العزيز الكعكي، النسيج العمراني للمدينة المنورة، ٢٠٠٧م

ولقد كان للمسجد في العصر النبوي دور كبير في ظهور نوع مميز من العمران الملتف حول نواة مركزية وهو ما لم يكن معروفا قبل الإسلام، حيث كانت التكوينات العمرانية ترتبط بمراكز جذب مصغرة كمصادر منابع المياه أو مناطق الزراعة أو مراكز البيع والشراء، وما إن تقل المياه أو تظهر طرق جديدة للتجارة حتى ينحل النسيج العمراني وتتلاشى تلك التجمعات بحثا عن مقومات مواقع ومواضع جديدة، فجاء المسجد بمعناه الواسع ليخالف أسس ومحددات التكوينات العمرانية ومؤسسا لنسيج عمراني جديد يتصف بالديمومة ولا يتأثر بمؤثرات الطبيعة والبيئة (الكعكي، ٢٠٠٧، ص ٢٩).

وخلال العصر الراشدي (ربيع الأول ١١هـ - ربيع الأول ٤١هـ/ يونيو ٦٣٢ - يونيو ٦٦١م) (مؤسس، ١٩٨٧، ص ٣٢) الذي اتسم بالفتوحات وبناء مرتكزات العمران "الأمصار" أصبح الفكر العمراني النبوي مرجعية لعماره وعمران مدن الأمصار كمدينة البصرة ١٤هـ/ ٦٣٥م، والكوفة ١٧هـ/ ٦٣٨م، والفسطاط ٢١هـ/ ٦٤١م. والتي اتبعت الفكر النبوي في المدينة المنورة فبدأت بتخطيط المسجد الجامع باعتباره نواة المدينة وفي وسطها وبالقرب منه دار الإمارة ثم أقطعت خطط القبائل حول المسجد وخططت الشوارع (عثمان، ١٩٨٨، ص ٤٩، ٥٨). وبالرغم من تباعد الأمصار إلا أنها تشابهت ليس فقط في مكوناتها وطريقة ترتيبها وتكوينها مع مرجعية نموذج عمارة وعمران المدينة، بل وأيضا مع طرق ومواد البناء البسيطة المعتادة فبنيت المساجد ودار الإمارة في الكوفة والبصرة والفسطاط باللين والطين ثم تطورت بالأجر والجص بعد ذلك (عثمان، ١٩٨٨، ص ٥٨، ٥٩).

• عصور الخلافة الإسلامية وتنوع الإبداع ضمن ثوابت مرجعية التأسيس (تنوير الظاهرة العمرانية) :

إذا كان العصر النبوي والراشدي بمثابة عصر التأسيس والمرجعية لظاهرة العمارة والعمران الإسلامي، فإن عصور الخلافة الإسلامية الأموية والعباسية والعثمانية ليست فقط عصور الانتشار والفتوحات الكبرى ولكنها كانت بمثابة عصور الإبداع والتنوير الإسلامي والتنوع المعماري والعمراني ضمن ثوابت ومقومات الوحدة/ النموذج Diversity In Unity . وبدأ العصر الأموي من ربيع الأول ٤١هـ واستمر إلى ذي الحجة ١٣٢هـ/ من يونيو ٦٦١ إلى يوليو

٧٥٠م، وتبعه العصر العباسي الأول من ربيع الأول ١٣٢هـ إلى ذى الحجة ٢٣٢هـ/ من سبتمبر ٧٤٩ إلى يوليو ٨٤٧ م، وعند هذا التاريخ تم بناء قاعدة العالم الإسلامي. ثم كان العصر العباسي الثاني ويمتد من ٢٣٢-٣٣٤هـ ويعرف بالنفوذ التركي، ثم العصر العباسي الثالث ويعرف بالنفوذ السلجوقي ويمتد من ٤٤٧-٦٥٦هـ وينتهي بسقوط بغداد في يد المغول (مؤنس، ١٩٨٧، ص٣٢، الصلابي، ١٩٩٨، ص٨٢). وخلال هذه الفترة أتم المسلمون فتح المشرق حتى حوض السند وبلاد فرغانة شرقا وإلى ساحل الأطلسي وشمال بلاد الأندلس غربا. وخلالها تم بناء قاعدة العالم الإسلامي أو الجزء العربي منه وبلاد إيران وماوراء النهر وبلاد طخارستان (أفغانستان) وحوض السند وتشمل كذلك جزءا من بلاد الأتراك (مؤنس، ١٩٨٧، ص٣٢) .

لقد اتخذ التوسع الإسلامي (الفتوحات) الذي كون العالم الإسلامي شكل موجات أو قفزات قام بكل منها جنس من الأجناس التي دخلت في الإسلام ، وكان لها دور في بناء حضارته وعمرانه. وبين موجات الفتح كان العالم الإسلامي يميل إلى السكون يملأ فيها الفراغات التي خلفها وراءه أثناء حركة المد (مؤنس، ١٩٨٧، ص٣٢). وخلال فترات السكون أخذت طرز العمارة وطرق مواد البناء وأساليب الفنون والزخارف وطرق تخطيط المدن تنمو وتتبلور وتتوسع معطياتها المعمارية والعمرانية ضمن ثوابت مرجعيات التأسيس النبوي والراشدي، فتوسعت المدن والمساجد وتنوعت مساحاتها وانفصلت عنها كثيرا من الوظائف والخدمات التي كانت تقدمها للمدينة وسكانها وأنشئت لها أبنية تتلاءم واحتياجاتها الجديدة المتزايدة. فظهرت المدارس والكتاتيب والأسبلة والتكايا والوكالات والأسواق والخانقاوات والمسافرخانة والبيمارستانات ودار الحكم ومجالس القضاء والأسوار والأربطة الدفاعية والقلاع، وتوزعت في النسيج العمراني للمدن الإسلامية لتغطي مختلف احتياجات السكان وتحقق لهم أسلوب حياة وعمران بالإسلام وللإسلام ومن الإسلام وهكذا أصبحت المدن الإسلامية مركزا للتطوير الإسلامي العلمي والتقني الحرفي والاجتماعي والاقتصادي. وتوضح الأشكال من ٦ - ١٤ أمثلة من عمارة وعمران العصر الأموي والعباسي (المصدر: الشبكة العنكبوتية) .



شكل رقم ٧- مدينة بغداد المنصور عاصمة الخلافة العباسية المصدر: الشبكة العنكبوتية



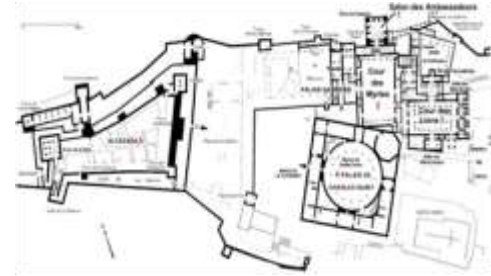
شكل رقم ٦- مدينة دمشق القديمة عاصمة الخلافة الأموية المصدر: الشبكة العنكبوتية



شكل رقم ٩ المسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة بالقدس الشريف



شكل رقم ٨ المسجد الأموي بمدينة دمشق على الطراز الأموي



شكل رقم ١٠- مسقط أفقي لقصر الحمراء بغرناطة الأندلس الطراز الأموي

شكل رقم ١١- مسجد عقبة بن نافع بالقيروان تونس الطراز الأموي



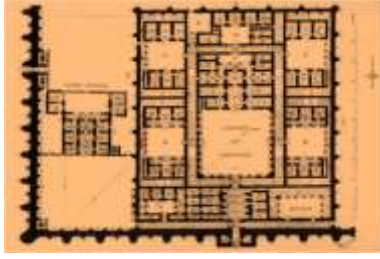
شكل رقم ١٣-

شكل رقم ١٢- فناء وقاعة الأسود وبركة المياه بقصر

المسجد الكبير بقرطبة ورواق الصلاة

الحمراء بالأندلس على الطراز الأموي

ومئذنة الخيرالدا بالأندلس على الطراز الأموي



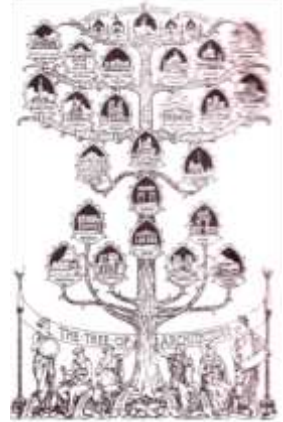
شكل رقم ١٥- المدرسة المستنصرية ببغداد على الطراز العباسي

شكل رقم ١٤- مسجد ومأذنة جامع سامراء بمدينة سر من رأى بالعراق

ومسجد أحمد بن طولون بمدينة القطائع على الطراز العباسي

الاستقراء الثاني : النظرية المعمارية من منظور تاريخ الفكر والبيئة الغربية :

بدأت النظرية المعمارية في الغرب من أعماق التاريخ الأوروبي مع مقدمة عابرة لعمارة العصر الفرعوني الذي انتقلت آثاره الحضارية من الشرق إلى الغرب لتؤثر في الحضارة والعمارة الإغريقية قبل الميلاد بألف عام. ويستمر البعد التاريخي للنظرية المعمارية الغربية عبر العمارة الرومانية (٧٥٠ ق.م-٤٠٠ م)، ثم عبر العمارة في فجر المسيحية (١٠٠-٦٥٠ م)، ثم انتقلت من الغرب إلى الشرق في العمارة البيزنطية (٣٣٠-١٤٥٣ م)، ثم عمارة الرومانيسك (٥٥٠-١١٥٠ م) فالعمارة القوطية (١١٥٠-١٥٠٠ م)، ثم جاء عصر النهضة والتوير (١٤٠٠-١٨٠٠ م) (عبد الجواد، ١٩٦٩). ويستعرض الاستقراء الثاني النظرية المعمارية الغربية من منظورها التاريخي والفكري الثقافي الغربي، ويوضح شكل رقم ١٦- شجرة العمارة الغربية وليس بها ذكر للعمارة العربية أو الإسلامية (المصدر: A HISTORY OF ARCHITECTURE ON THE COMPARATIVE METHOD, by Professor BANISTER F. FLETCHER)



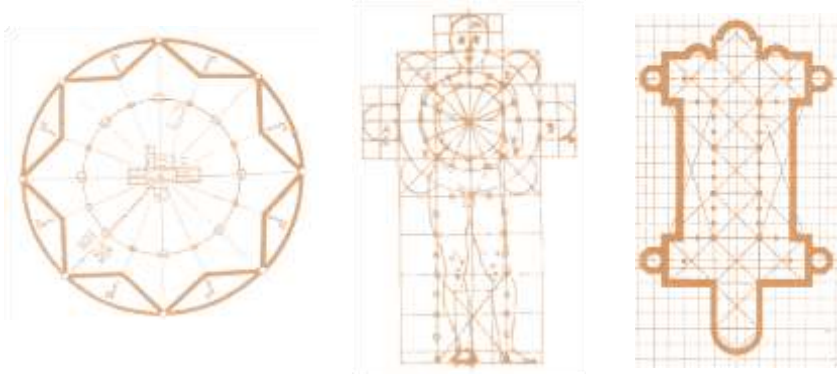
شكل رقم ١٦- شجرة العمارة كما ظهرت في كتاب فلنشر

• تاريخ نشأة النظرية المعمارية الغربية (فكر الآباء المؤسسين) :

يفخر المعماريون الغربيون بأن النظرية المعمارية الغربية قديمة قدم الحضارة الغربية وتضرب بجذورها من العصر الإغريقي وما اتسمت به من إطار فلسفي بجانب بعض المضامين الحسابية والجغرافية المأخوذة من الحضارة المصرية القديمة. وتضمنت النظرية المعمارية والعمرائية الإغريقية دراسات لموضوعات النسب والنسبة الذهبية Golden Ratio والانظمة المعمارية Order وقانون التماثل Symmetry.

وفي الفكر الروماني أخذت النظرية المعمارية والعمرائية الغربية منحى آخر حيث قلت الكتابات الفلسفية وظهرت كتابات الفن والعلم والخبرة العملية، ويعد المعماري الروماني Marcus Vitruvius Pallio وكتابه المشهور " الكتب العشرة في العمارة THE TEN BOOKS ON ARCHITECTURE " الذى عكس فكر فيتروفيس بمختلف جوانبه الفلسفية والنظرية والتطبيقية والإنشائية والتخطيطية. ويوضح الشكل رقم ١٧- تأثير الرياضيات والنسب وتأثير كتابات فيتروفيس على الأشكال المعمارية لتلك الفترة ومنها كنيسة سان مايكل (المصدر: عبد الباقي إبراهيم، المنظور الإسلامى للنظرية المعمارية). وتضمن الكتاب الذى أهده فيتروفيس إلى " أغسطس " قيصر روما عدة مبادئ عن العمارة منها نظرية الشكل بنسبه المستوحاة من الطبيعة والمقياس الإنسانى، ومنها استعمال الوحدة القياسية (الموديول الطولى) في جميع أجزاء المبنى متخذاً جسم الإنسان مثلاً لقيم التجانس والتماثل بين الكليات والجزئيات، ومنها كذلك تنظيم العلاقة بين المسقط الأفقى والواجهات، والإعتماد على المنطق في التصميم أو التخطيط، ومنها تنظيم العلاقة بين الأجزاء المصمتة والمفتوحة في المبنى، ومنها استغلال واحترام الموقع، واستغلال مقوماته الطبيعية، ومنها أيضاً الجانب الإقتصادي المتمثل في التنظيم الأمثل للموقع واستعمال المواد وملاءمة المبنى للاحتياجات المطلوبة منه، والإلتزام بالدرجة الصحيحة في الإنفاق (إبراهيم، ١٣، ١٩٨٦- ١٤).

وفي العصور الوسطى تأثر الفكر المعماري بالفكر الدينى والتصورات والأفكار والعقائد الدينية المسيحية فى أوروبا، حيث شهدت هذه الفترة من تاريخ الغرب ارتباطاً قويا بين المجتمع والمدينة ، ومن ثم بين المجتمع والعمارة وقد ظهر ذلك بالاهتمام البالغ ببناء الكنيسة في قلب المدينة وارتباط المعماري بالكنيسة.



شكل رقم ١٧- كنيسة سان مايكل (تأثير الرياضيات على التصميم وتأثير كتابات فيثاغورس على الأشكال المعمارية واتخاذ جسم الإنسان أساساً للمديول عند تصميم الكنائس)



شكل رقم ١٨ - أمثلة للمدينة الأوروبية في العصور الوسطى وتأثرها بتعاليم فيثاغورس

بينما في عصر النهضة منذ منتصف القرن الخامس عشر ارتبطت النظرية المعمارية بفكر فيثاغورث Pythagoras الذي يقول إن الكل رقم وأن الكون يسير بإحكام رقمي ورياضي. ويعد Leon Battista Alberti أحد أشهر معماري إيطاليا ومن أوائل الذين كتبوا في نظريات العمارة في عصر النهضة، حيث وضع البرنامج الكامل للكنيسة المثالية في عصر النهضة. وقد انتهى إلى أن الدائرة هي أنسب الأشكال الهندسية لبداية الفكرة المعمارية حيث رأى أن الدائرة ترتبط أساساً بطبيعة الكون في شكل الكرة الأرضية، ومن الدائرة استخرج Alberti تسعة أشكال هندسية لتصميم الكنائس مرتبطة بالمربع والمسدس والمثلث، من هذا المنطق وبناء على التعريف باستخدام النسب الرياضية يرى Alberti أنه للوصول إلى الصيغة الجمالية المطلوبة لابد وأن يكون هناك تكامل في النسب بين جميع أجزاء المبنى، وأن يكون لكل جزء حجمه المحدد، بحيث إذا أضيف شيء أو انتقص شيء أثر على التجانس العام للمبنى ككل، وأن الذي يحقق ذلك هو الشكل الدائري أو الأشكال المستمدة منه مثل جسم الإنسان إذا انتقص منه عضو فقد الجسم مقوماته.



شكل رقم ١٩- مثال للكنائس في عصر النهضة (كنيسة Sant'Andrea, Mantu, ١٤٧١ من تصميم Leon Battista Alberti ويظهر تأثير المعماري Alberti بمعبد Pantheon الروماني على سقف الكنيسة)

وبعد ما يقرب من مائة عام على Alberti ظهر معماري إيطالي آخر هو Andrea Palladio (١٥٠٨ - ١٥٨٠م) متأثراً بفكر سلفه من معماريي عصر النهضة في تعريفهم للجمال عن طريق النسب الرياضية وكذلك تأثره بالفكر الديني لاسيما في تصميم الكنائس، إذ قال : إن المبني يجب أن يكون قويا ليعيش أبداً مع استعمال أكمل النظم وأعلى المواد وأن اللون الأبيض هو لون النقاء الذي يتناسب مع جلاله الرب.



شكل رقم ٢٠- مسرح روماني مغطى The Teatro Olimpico من تصميم Vicenza, Andrea Palladio 1585, Italy ويظهر فيه البعد المنظوري للمسرح لأول مرة ، وهو من آخر أعمال Palladio في عصر النهضة



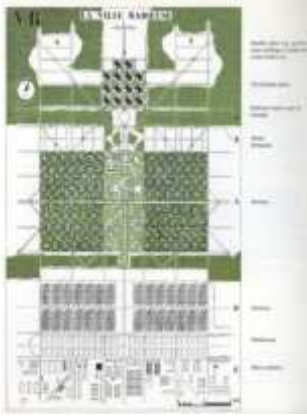
شكل رقم ٢١- فيلا La Rotonda من تصميم Vicenza, Italy 1566, Andrea Palladio

وتبعه المعماري Tommaso Temanza (١٧٠٥-١٧٩٨م) لينتقد الاتجاه الفكري الذي كان سائدا حتى منتصف القرن الثامن عشر والمتمثل في الإعتماد على الجوانب الرقمية ، والرياضية باعتبار أن العين لا تستطيع أن تستوعب النسب الهندسية للعرض والطول والارتفاع معا، وهكذا تتطور النظرية المعمارية بانتهاء محاولات نظرية لبعض المعماريين لتحل محلها محاولات معبرة عن حرية الفكر واستمرارية البحث عن النظرية. وفي القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلادي انتقل مركز النظرية المعمارية غربا من إيطاليا إلى فرنسا وانجلترا، وفي هذه الفترة امتزجت النظريات المعمارية المحلية وانتقلت مع الحركة الثقافية التي مهدت للنظريات المعمارية المعاصرة.

• تطور النظرية المعمارية الغربية المعاصرة (البحث عن المعنى بين التناقضات) :

أدت الحروب العالمية الأولى والثانية وفترة الركود العالمي إلى تغيرات عالمية في الفكر المعماري والعمراي وشهد القرن العشرين في الفترة من ١٩٢٠م حتى ١٩٧٠م ستة اتجاهات معمارية متتالية هي (المنطقية، المثالية، الذاتية، الإبتكارية المتميزة، الحركية، اللامبالاة). ولكل من هذه الاتجاهات الفكرية المعمارية خلفيته السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي شكلته وأثرت في أعمال المعماريين. لقد التقى كبار المعماريين أمثال Le Corbusier ، Walter Gropius ، Ludwig Mies van der Rohe ، حول فكر اجتماعي مشترك أساسه الحرية الإنسانية والإصلاح الاجتماعي (Jencks,1985). ففي أواخر عام ١٩٢٠م بدأ Le Corbusier مقالاته في مجلة L'Esprit Nouveau حيث قال: " إن روحا جديدة بدأت تظهر هي روح الإنشاء والبناء والفكر الموجه بنظريات واضحة " وهو من أطلق أن " المسكن آلة للعيش " تأثرا بالاتجاه السائد لعصر الآلة ، حيث كان تأثير الآلة واضحا على أعمال الفنانين والمعماريين الأوروبيين مما ساعد على تطوير الفن في اتجاه التجريدية. وفي عام ١٩٢٢م وضع Le Corbusier تصوره عن المدينة المعاصرة أو Future City التي تضم ثلاثة ملايين نسمة، والتي بنيت على أساس الفصل بين الوظائف الأساسية في المدينة وحركة المواصلات واعتبار أرض المدينة حديقة عامة مع الارتفاع بالوحدات السكنية في أبراج عالية. وفي نفس العام قدم أيضا تصوره لعمارة الفيلات Unité d'habitation تضم ١٢٠ مسكن من دورين (فيلا) لكل منها حديقة خاصة، والتي تعزز فكرة اشتراكية البناء والسكن وتتجاهل الاحتياجات الرأسمالية واقتصاديات البناء (إبراهيم، ٢٠١٩٨٦). ويوضح الشكل رقم ٢١- مدينة المستقبل وعمارة الفيلات من أعمال Le Corbusier (المصدر: الشبكة العنكبوتية). وفي العشرينات من هذا القرن ظهر عددا من الحركات التشكيلية المختلفة التي ترتبط بالفكر الاجتماعي السائد، فظهرت حركة "النقاء في التعبير" في فرنسا وحركة "الاتجاه الإنشائي" في روسيا وهنغاريا، وحركة "الاتجاه التعبيري" في ألمانيا وحركة "التجريد" في مدن أخرى.





شكل رقم ٢٢ - أعمال Le Corbusier تصور عن مدينة المستقبل عام ١٩٢٢، ومشروع Unité d'habitation of Nantes-Rezé 1953

وفي عام ١٩٢٨م أسس Le Corbusier و٢٨ معمارياً المؤتمر الدولي للعمارة الحديثة في قلعة la Sarraz سويسرا والتي عرفت بـ "مجموعة



سيام " Congrès International d'Architecture Moderne (CIAM) وتم حلها ١٩٥٩، وكانت مسؤولة عن سلسلة من الأحداث والمؤتمرات رتبت في جميع أنحاء أوروبا من قبل المهندسين المعماريين البارزين في ذلك الوقت، بهدف نشر مبادئ الحركة الحديثة التي تركز في كافة المجالات الرئيسية للهندسة المعمارية (مثل تنسيق المواقع، التمدن والعمران، التصميم الصناعي،). واعتبر المؤتمر العمارة الحديثة التي عرضها Le Corbusier في معرض فايزنهوف عام ١٩٢٧ بمبادئه الخمسة بمثابة طراز القرن العشرين وإن اختلفت الآراء داخل هذه المجموعة التي انقسمت بين المعماريين الفرنسيين الذين انحازوا إلى الجوانب الشكلية في العمارة والمعماريين الألمان الذين انحازوا إلى الجوانب الوظيفية في العمارة وكونوا في ألمانيا مدرسة الحرف والفنون Bauhaus أسسها المعماري الألماني Walter Gropius وضمت المعماري Mies van der Rohe والمعماري Bruno Taut لإيجاد أعمال فنية جماعية وبناء مجموعات كبيرة من الإسكان وإزالة المباني التي لا تحمل قيمة معمارية عالية (Wikipedia the Free Incyclopedia).

وفي الطرف الشرقي من العالم تمثل الحركة الفكرية المعمارية التي ظهرت في اليابان بقيادة المعماري Kenzō Tange وسطا بين الإتجاهات السابقة فهي من جانب تنتمي إلى فكر الرواد المتمثل في أعمال Le Corbusier الأخيرة ومن جانب آخر تنتمي إلى الحركة الفنية المتحررة من أية قيود وهي بين هذين الإتجاهين تعد مثالا للحركة المعمارية المنطقية، والفكر المنطقي يرتبط دائما بالمنهج الهندسي، الأمر الذي ظهر أيضا في أعمال كل من المعماري الإيطالي Pier Luigi Nervi والمعماري الاسنترالي peter muller في أواخر الأربعينيات بالتتابع والتوازي مع الإتجاهات المعمارية الأخرى.



شكل رقم ٢٣- أعمال Pier Luigi Nervi 1971 «Norfolk Scope Arena in Norfolk, VA, USA.

The Tour de la Bourse in Montreal (1964)

وفي بداية الخمسينات ظهرت سلعة جديدة تتصل بالعمارة وهي التجهيزات والعناصر المعمارية التي عرضت في الأسواق تحت مسمى " اصنعها بنفسك " وفي هذا الاتجاه وضع المعمارى الهولندى نيكولاس هابركان نظرية في الإسكان فرق فيها بين الهياكل الإنشائية والوحدات المنفصلة أو بتعبير آخر الفصل بين الاستعمالات العامة الثابتة التي تخص البلديات والاستعمالات الخاصة للمستهلك ، وفي جانب آخر من الصورة ظهر فى روسيا الاشتراكية اتجاه إلى لفظ الفن المخزون والدعوة إلى الخروج بالفن إلى الشارع والمصنع والمسكن تحت شعار "الفن للجميع"، فالفكر السياسى يؤثر على الاتجاهات الفنية. كما توجه الفكر المعمارى أيضا فى نفس الطريق للاهتمام بمشروعات الإسكان والمناطق العشوائية. وفى الخمسينات انتشر الطراز العالمى The International Style وقبلته معظم الحكومات فى أوروبا لمواءمته مع مثالياتها الاجتماعية، وتميز هذا الطراز العالمى باستعمال الحوائط الساترة الخارجية التي يحملها الهيكل الإنشائى للمبنى.

وفي اتجاه آخر نجد فكرا معماريا أساسه الإدراك الذاتى أو الذاتية، وهي تتبنى أحد الاتجاهين: إما الإمتثال التام لنماذج الماضى المعمارية اعتقادا منها أنها تحوي نظاما عالميا يجب احترامه، وإما التمسك الشديد بهذه المباني لما تمثله لها من ضمان لفكرة الخلود والاستمرارية. وفي منتصف الستينيات ظهرت حركة فنية حسية جديدة، وكانت هذه الحركة تهدف إلى محاربة البيئة الصناعية الرتيبة، التي عبرت عنها عمارة هذه الفترة مع توظيف ثمار التكنولوجيا المعاصرة فى التشكيل والبناء، وقد تكون هذه الحركة جزءا من حركة "فن البوب" وحركة "المعسكر" ومن روادها المعمارى الأمريكى Paul Rudolph وهي حركة معمارية ظهرت فى أمريكا فى الستينات تحت شعار " ابحث عن السمو الخفى للحياة العادية" أو شعار " الجمال ينبع دائما من القبح" وهي حركة مسابرة لفنون زمانها وخارجة عن التقاليد الاجتماعية والثقافية السائدة فى أوروبا، فكانت عمارتها بغير غرض والشكل لا يتبع الوظيفة، عمارة تستخدم التكنولوجيا ولا تخضع لها عمارة مطلقة بلا حدود مقيدة أو أسس معوقة فيها خروج عن واقعية الحياة ونظام الكون ومنطق الإنسان.



شكل رقم ٧٤- أعمال Paul Rudolph ، University of Massachusetts Dartmouth Claire T Carney Library Architecture Building (renamed Rudolph Hall in 2008) houses the Yale School of Architecture and is one of Paul Rudolph's best known works. (المصدر: الشبكة العنكبوتية)

وهكذا يكشف استقراء نشأة وتطور النظرية المعمارية الغربية عن أن الفكر المعماري الغربي كان له اهتمام كبير في تدوينات الرواد أو الآباء المؤسسين وشكل ركيزة للتطور بالنقد والتغيير أو التجديد أو النقض. وهو بذلك لا يقف عند حد ولا يرتبط مع الزمن بنظرية واحدة أو اتجاه واحد، فالحركة المعمارية التي ظهرت في أوروبا وأمريكا تأثرت بالعديد من النظريات والاتجاهات الفكرية والفنية والسياسية والاجتماعية التي ظهرت في أوقات متتالية ومتزامنة في بيئات مترابطة متفاعلة ، كما يكشف عن دور المعماريين في صياغة تلك النظريات فكريا وعمليا تطبيقيا في أعمالهم حتى أصبحت جزءا من التاريخ المعماري المعاصر.

الاستقراء الثالث : النظرية المعمارية في الفكر العمراني الإسلامي:

نستعرض من خلال هذا الاستقراء جهود المفكرين والمعماريين والمخططين المسلمين عبر الزمان والمكان ورؤيتهم للعمارة والعمران كمدخل لفهم الروح العربية والإسلامية وتحديد الاتجاهات والآراء المختلفة حول ظاهرة العمارة والعمران الإسلامي ، وهي جهود متعددة نستعرض منها رأى بن خلدون كمفكر رائد على العمران الإسلامي بالمغرب العربي ، ورأى آخر مختلف لمفكر ومعماريين معاصرين من المشرق العربي.

• النظرية المعمارية في فكر بن خلدون (فيلسوف من المغرب العربي) :

لم يتمكن المعماريون الذين شيّدوا الصروح المعمارية التاريخية من تسجيل فكرهم المعماري لأعمالهم. ولا يوجد لهم تدوين أو تأريخ لمعظمهم على الرغم من عظمة إبداعاتهم المعمارية والفنية وكانوا بلا شك على علم تام بالعدد الرئيسة لمزاولة الأعمال الهندسية وهي الزاوية والمسطرة والفرجار والمنقلة وأن هناك من الأعمال المعمارية ما يدل على معرفتهم التامة بعلم من أصعب العلوم الهندسية الأساسية وهو علم الهندسة الوصفية (شافعي، ١٩٨٢، ص٧٦). ويعد بن خلدون أقرب العلماء والمفكرين العرب الذين يمكن الاسترشاد بكتابتهم كشاهد على حقبة تاريخية باستقراء كتاباته للبحث عن النظرية المعمارية، فقد كتب بن خلدون في العمران والمساجد والبيوت العظيمة ، كما كتب عن الهندسة وتفاصيل صناعة البناء. وحول العمارة نجد كتاباته قد تعرضت لها في الإطار العمراني المتكامل بمقوماته السياسية والاجتماعية دون التعرض لجوانبها التشكيلية والجمالية.

ذكر بن خلدون صناعة البناء والمقصد منها فقال: " هذه الصناعة أول صنائع العمران الحضري وأقدمها، وهي معرفة العمل في اتخاذ البيوت والمنازل للسكن والمأوى للأبدان في المدن ؛ وذلك أن الإنسان لما جبل عليه الفكر

فى عواقب أحواله لابد أن يفكر فيما يدفع عنه الأذى من الحر والبرد كاتخاذ البيوت المكتنفة بالسقف والحيطان من سائر جهاتها والبشر مختلفون فى هذه الجبله الفكرية التى هى معنى الإنسانية " (بن خلدون، ١٩٩١، ص ٢٥٩). ويظهر من قول بن خلدون الدعوة إلى إعمال الفكر فيما ينفع الإنسان وهذه قيمة إسلامية أو هى قيمة إنسانية. وتعرض أيضا إلى تحديد أسباب انتشار واضمحلال العمران أو ما أسماه "مبادئ الخراب فى الأمصار" فقال فى مقدمته " إعلم أن الأمصار إذا اختطت تكون أولا قليلة المساكن وقليلة آلات البناء من الحجر والجير وغيرهما ، مما يعالى على الحيطان عند التائق كالزلج والرخام والريج والزجاج والفسيفساء والصدف؛ فيكون بناؤها يومئذ بدويا وآلاتها فاسدة. فإذا عظم عمران المدينة وكثر سكانها كثرت الآلات بكثرة الأعمال حينئذ وكثر الصناع إلى أن تبلغ غايتها من ذلك كما سبق بشأنها، فإذا تراجع عمرانها وخف ساكنها قلت الصنائع. لأجل ذلك فقدت الإجابة فى البناء والإحكام والمعالجة عليه بالتنميق، ثم تقل الأعمال لعدم الساكن فيقل جلب الآلات من الحجر والرخام وغيرها فتفتقد ويصير بناؤهم وتشبيدهم من الآلات التى فى مبانيهم فينقلونها من مصنع إلى مصنع، لأجل خلاء أكثر المصانع والقصور لقلة العمران وقصوره عما كان أولا، ثم لاتزال تنقل من قصر إلى قصر ومن دار إلى دار إلى أن يفقد الكثير منها جملة، فيعودون إلى البداوة فى البناء واتخاذ الطوب عوضا عن الحجارة والقصور عوضا عن التنميق بالكلية، فيعود بناء المدينة مثل بناء القرى والمدن ويظهر عليها رسة البداوة، ثم تمر فى التناقص إلى غايتها من الخراب إن قدر لها به، سنة الله فى خلقه" (بن خلدون، ١٩٩١، ص ٢٢٧). وهكذا تتضح أهمية الموازنة بين البناء فى المراحل المختلفة من التعمير واحتياجات المجتمع فى هذه المراحل، وكذلك الموازنة بين مادة البناء وعمرها الافتراضى الأمر الذى يرتبط بالنواحي الاقتصادية والاجتماعية لمواجهة عمليات البناء فى المجتمعات الإسلامية. وفى موضع آخر من المقدمة يقول بن خلدون فى أن المباني والمصانع فى الملة الإسلامية قليلة بالنسبة إلى قدرتها وإلى ماكان من قبلها من الدول ، والسبب فى ذلك أن العرب أعرق فى البداوة وأبعد عن الصنائع. وأيضاً كانوا أجانب عن الممالك التى استولوا عليها قبل الإسلام ولما تملكوها لم يفسح الأمد حتى تستوفى رسوم الحضارة، مع انهم استغنوا بما وجدوا من مباني غيرهم ، وأيضاً كان الدين أول الأمر مانعا من المغالاة فى البنين والإسراف فيه فى غير القصد. كما عهد عمر بن الخطاب حين استأذنه فى بناء الكوفة بالحجارة وقد وقع حريق فى القصب الذى كانوا بنوا به من قبل، فقال عمر: «إفعلوا ولايزيدن أحد على ثلاثة أبيات، ولاتطاولوا فى البنين، والزموا السنة تلتزمكم الدولة»، وعهد إلى الوفد وتقدم إلى الناس ألا يرفعوا بنينا فوق القدر قالوا وما القدر؟ قال مالايقرىكم إلى السرف ولايخرجكم عن القصد. فلما بعد العهد بالدين والتخرج فى أمثال هذه المقاصد وغلبت طبيعة الملك والترف واستخجم العرب أمة الفرس وأخذوا عنهم الصنائع والمباني ودعتهم إليها أحوال الدعة والترف فحينئذ شيدوا المباني والمصانع (بن خلدون، ١٩٩١، ص ٢٢٦). وهكذا كان الفكر الراشدى موجها لعمليات البناء وكان الالتزام بالمعيار الذى وضعه عمر بن الخطاب وهو " مالايقرىكم من السرف ولايخرجكم عن القصد"، وهو معنى الوسطية فى النظرية المعمارية كما يحددها الإسلام.

• النظرية المعمارية فى فكر نصر/أردلان/بختيار (فلاسفة من المشرق العربى) :

إذا كانا بن خلدون فيلسوف من المغرب العربى قدم تصوراته ورؤيته للعمارة والعمران الإسلامى، فإن الشرق لا يخلوا من مفكرين وفلاسفة أيضا ومنهم الفيلسوف الإيرانى "سيد حسين نصر" وكذلك آراء اثنين من كبار معمارى إيران المعاصرين وهما نادر أردلان ولاله بختيار فى كتابهما " الحس الوجدوى: تأثير القيم الصوفية على العمارة الفارسية

التراثية *The Sense of Unity : The Sufi Tradition in Persian Architecture* . ونلاحظ إلقاءه العمارة الإسلامية في منطقة إيران بصفة العمارة الفارسية وهي رؤية قومية محدودة تتعد عن عالمية العمارة والعمران الإسلامي.

عندما حاول الفيلسوف الإيراني سيد حسين نصر أن يقدم نظرية للعمارة في العصر الإسلامي بدأ متشعباً بالنظريات الفنية والمنهج الفكري الغربي الذي ظهر في عصر النهضة فيقول : "إن عمارة المسلمين كغيرها من العمارة التراثية ترتبط بالمظاهر الكونية فالكون يعكس المبدأ الإلهي وكذلك الإنسان، وأن الإنسان في حد ذاته مرتبط بهذا الكون". وفي موضع آخر نجده متأثراً بآراء وتعابير *Palladio* و *Alberti* فيقول "إن العمارة التقليدية وبخاصة عمارة المعبد بصفة عامة وعمارة المسجد بخاصة هي صورة للكون أو للإنسان في مقياسه الكوني، حيث أن جسم الإنسان يعد المعبد الذي تسكنه الروح" ، وهو بذلك ينتهج نفس المنهج الذي اتبعه المعمارون في عصر النهضة ليس فقط بالبحث عن النظرية من خلال دراسة وتحليل العمارة التراثية من حيث النظرة الكلية الشاملة للبعد الكوني، ولكن أيضاً من حيث مكوناتها وعناصرها المعمارية ، حيث إن الفراغ هو الأساس ولا ينفصل عن الشكل في عمارة المسلمين.

وفي مكان آخر يقارن ، نصر بين الفكر الغربي والفكر الإسلامي في التشكيل المعماري فيقول: إن المسكن في العمارة الغربية موضوع في الفراغ الذي تحدده المعالم العمرانية المحيطة به، أما الفراغ في عمارة المسلمين فهو مستقطع من البناء الكلي وتحدده الأسطح الداخلية لهذا البناء ، وأن توجيه الفراغ وخصائصه الكمية وعلاقته بالشكل هي عناصر أساسية في العمارة التراثية الإسلامية.

ومرة أخرى يعود سيد حسين نصر إلى منهج *Alberti* وغيره من فلاسفة العمارة في عصر النهضة حيث ارتبطت أسس تصميم العمارة التراثية عندهم بالناحية الحسابية أو الرياضية وبخاصة بالنسبة للأشكال الهندسية حيث لا تظهر الأشكال والأرقام في قالبها الكمي فقط بل تكون لها دلالاتها الكيفية أيضاً. فكل رقم أو شكل إذا نظر إليه من الناحية الرمزية يعبر عن الوحدة ويعكس القيمة الموجودة بها، وبهذه الرؤية الغربية يستطرد نصر في تفسير الرمزية فيقول: إن مربع الكعبة المشرفة يتردد في أفنية المباني وأنه ليس مجرد مربع، ولكنه يرمز إلى الثبات والكمال ويعكس صورة المعبد المربع في الجنة الذي تمثله الكعبة على الأرض. ويرى أن الشكل المثمن في العديد من المساجد ليس مجرد شكل إنشائي يساعد على حمل القبة فوق قاعدة مربعة، ولكنه انعكاس للعرش الإلهي الذي تحمله ثمانية من الملائكة مستلهما ذلك من قوله تعالى في سورة الحاقة آية ١٧ "ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية". كما يرى أن القبة ليست مجرد وسيلة لتغطية مكان معين ، ولكنها ترمز إلى غطاء السماء وما بعده من عالم روحاني لانهائي، ومنها يصبح الشكل الكروي أو الدائري هو الرمز الهندسي الأمثل. ويرى أن العمارة التراثية ككل الفنون لا يمكن فصل الشئ فيها عن المعنى، فالمعنى لا يختلف كثيراً عن الروحانية، وبهذه الرؤية يمكنه تفسير المعاني التي تعبر عنها العمارة التراثية تبعاً للمقاييس الشكلية أو الرمزية التي يراها.

وفي تفسيره للضوء والألوان في العمارة التراثية في إيران يرجع نصر الموضوع إلى أن اهتمام الفرس بالإضاءة كان واضحاً قبل الإسلام ومرتبناً بالتعاليم الدينية على مر التاريخ (في إحياء إلى نار فارس). كما كانت للألوان أهمية كبرى في الفنون الفارسية فالأبيض الذي هو قمة الألوان يرمز إلى الوجود.

ولايبعد المعماريان الإيرانيان نادر أردلان ولاله بختيار كثيرا عن فلسفة سيد حسين نصر ورؤيته للعمارة الإسلامية وهو ما قدماه في كتابهما " الحس الوجداني: تأثير القيم الصوفية على العمارة الفارسية التراثية The Sense of Unity : The Sufi Tradition in Persian Architecture "، حيث يستندان في جميع تحليلاتهما إلى الفكر الصوفي الذي ظهر فيما بين القرنين العاشر والخامس عشر في جنوب العراق وإيران.

ويبدأ أردلان وبختيار عرض رؤيتهما حول النظرية المعمارية الإسلامية "أن الشريعة الإسلامية لم تكن هي الموجه المباشر لمبادئ الإنسان التقليدي بل كانت الطريقة التي ينتهجها هي الموجهة للمبادئ التي حكمت الفن والعمارة الإسلامية ، فالفن الإسلامي في نظرها جاء نتيجة تزاوج العلوم الطبيعية والحرف المشكولة لنظمها والتي ترعاها اتحادات الحرفيين ، ويقولان إن الإنسان التقليدي في المجتمع الإسلامي يعيش تبعا لقواعد الشريعة بالإضافة إلى أن الإنسان ذو الموهبة الحرفية المتميزة يبحث عن "الحقيقة" من خلال "الطريقة" الكامنة في أعماق "الشريعة" ، و أن العلاقة بين الحقيقة والطريقة والشريعة يمكن أن يلزم لها بالدائرة حيث تكون الشريعة هي محيط الدائرة، والطريقة هي القطر المؤدى إلى المركز والحقيقة هي المركز (إبراهيم، ١٩٨٦، ص٤٦).

وترتكز فلسفتها في تأويل العمارة الإسلامية على أن لكل شئ ظاهره وباطنه، فالظاهر في الشكل والباطن في الخصائص المشتركة للأشياء والتي تحتاج للقدرة على التأويل. والرمزية عندهما طبيعية ومكتشفة، فالإنسان في تشكيلاته الفنية يستقى النظم من المظاهر الطبيعية ويضعها في الأشكال الهندسية المتماثلة حول مركزها وهي بذلك تمثل " التوحد من خلال الوحدة " والتي يُعدها أردلان وبختيار تعبيرا عن التوحيد، ويتشابهان في ذلك مع رؤية Alberti من أن الوحدة الهندسية في الكنيسة المثالية يجب أن ترتبط الكليات بالجزئيات.

وفي تفسيرهما للقبّة في العمارة الإسلامية يشيران إلى أنها هي المحتوى الذي يبني على أساس قوانين الحساب والاتزان التي ترتبط بمركزها، وهي بذلك ترمز إلى الروح العالية التي تضم الكون والمصدر الرئيس لكل الكائنات. وهما بهذا التفسير يؤكدان على الروحانيات والرمزية ثم ينتقلان من عالم الطبيعة إلى عالم الشكل ثم عالم المعنى فالملكوت فالجبروت وحتى عالم اللاهوت، ويبتعدان بذلك عن جوهر الإسلام وتعاليمه والشريعة ومقاصدها كمنهج لحياة الإنسان/المجتمع الإسلامي. وفي تفسيرهما لموضوع الشكل عرضا مجموعة من التشكيلات الهندسية والفراغية التي تحكمها النسب الرياضية. وحاولا من تحليلهما لقطاع في قبة المسجد الجامع بأصفهان أن ينسبا نسبتها إلى المتوسط الذهبي. ثم تطرقا إلى الإنسان كوحدة للقياس في محاولة لاستخلاص نظام Module المستوحى من جسم الإنسان، واعتبرا أن ارتفاع الإنسان ٦ أقدام وبذلك يعد أول رقم حسابي كامل ليس فقط لأنه مأخوذ من ارتفاع الإنسان ولكن لأنه يمثل الجوانب الستة للمكعب. وعليه فهو الرقم الذي يجب أن تستنبط منه نظم النسب التي تحدد الفراغ.

وهكذا يستمر البحث عن المنظور الإسلامي في النظرية المعمارية حتى من جانب المسلمين أنفسهم الذين انتهجوا المنهج الغربي في البحث والتحليل، الأمر الذي أبعد كل القيم السامية التي تكون العقيدة الإسلامية عن منهج البحث والتحليل، وهنا مصدر الخطر الذي يتعرض له الإسلام كحضارة متكاملة ترسم حياة الفرد كما ترسم حياة المجتمع في كل زمان ومكان ، من هنا لا بد من الاستمرار في البحث عن المدخل العقائدي لتحديد المنظور الإسلامي للنظرية المعمارية.

الاستنباط الأول : موجّهات العمران فى الإسلام (وجدان النظرية العمرانية) :

لم يكن العرب بعيدون عن التمدن والعمران فهم أهل تجارة وترحال وكانوا على صلوات مستمرة بمدائن كسرى وفارس بالعراق من جهة وحضارة الروم بالشام ودمشق من جهة أخرى وشاهدوا وتأثروا ونقلوا مايناسب بينتهم وثقافتهم ، فعرفوا البناء بالحجر وبالآجر والجص وبالطين واللبن وبالقصب ذلك هو تاريخهم قبل الإسلام. وحينما ظهر الإسلام معلنا عن ظاهرة جديدة للعمران البشرى على الأرض، كانت آيات القرآن الكريم وأحاديث السنة النبوية تعمل بمثابة " موجّهات للعمران فى الإسلام " أثرت فى وجدان الإنسان/المجتمع الإسلامى وشكلت أسلوب حياته وعلاقته بعمران الأرض ، ويتضح هذا الأمر من استقراء آيات القرآن الكريم ومدارسة السنة النبوية قولاً وفعلاً يعكس التوجيه الإلهى والفكر النبوى فى العمران، وهو بحث شاق وطويل ويحتاج لتفصيل لايتسع له المقام ولكنه واضح وجلى....، ونعرض لبعض هذه الموجّهات العمرانية :

١- الموجّهات التاريخية الحضارية : نظر العرب إلى آيات القرآن وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم نظرة جدية آمنوا بها ووثقوا فيها فرفعت من مستوى وعيهم الحضارى بالوجود والحياة، وتعلموا منها سنن العمران ودورة الحضارة وموضع الإنسان منها ودوره فيها سلبياً أو إيجابياً. ويوجه عز وجل إلى ذلك بقوله " قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِبِينَ " (آل عمران، ١٣٧)، وحتى لاتجرى عليهم سنن الله فيما كان قبلهم من الأمم يقول: " أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ " (الروم، ٩)، ويؤكد ذلك قوله عز وجل " (وَلَقَدْ مَكَانَهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَانَكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْلَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ " (الأحقاف، ٢٦).

وشكلت الآيات التى عرضت قصص الأمم السابقة -أجدادهم من العرب البائدة كقوم هود وعاد وثمود وفرعون - وجدانهم الحضارى كأمة وبصرهم بأسباب وسنن الله فى هلاك تلك الأمم وفساد تعميمها للأرض وأبنيتها التى دمرت ولم تغن عنها من الله شيئاً (عزب، ١٩٩٧، ص ٣٢) بالرغم من قوتهم وسطوتهم وتمكنهم الحضارى والعمرانى. وحملت بعض سور القرآن أسماءهم "سورة هود، الحجر، الأحقاف"، فعن قوم عاد أصحاب إرم ذات العماد يقول تعالى " أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ " (الفجر، ٦-٨)، وعن قوم ثمود أصحاب مدائن صالح يوجه يقول الله تعالى " وَأذْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَا خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأْنَا فِي الْأَرْضِ تُجْحَدُونَ مِنْ سُوءِهَا قُصُورًا وَتُجْحُونَ الْجِبَالَ يُنُوبًا فَاذْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ وَآيَةَ نَعْمَائِهِ فِي الْأَرْضِ مُؤْسِدِينَ " (الأعراف، ٧٤)، وعن منهج العمران يوجه إلى العدل فيقول عز وجل: " وَاللَّيْلِ مَدِينٌ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَانظُرُوا إِلَيْكُمْ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا إِلَيْكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ " (الأعراف، ٨٥).

٢- الموجّهات العقائدية : أدت العقيدة الإسلامية أو عقيدة توحيد الألوهية والربوبية دوراً جوهرياً فى إعادة صياغة ونضج العقل العربى وتغيير مفهومه للحياة والكون والوجود، بل ورسمت له منهجاً واضحاً لمعنى الحياة الدنيا ومعنى

الحياة الآخرة يقول الله عن ذاته العلية فى سورة الإخلاص: " قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ " . وحددت الخصائص العقيدية للإسلام والإيمان والإحسان والتي تتدرج بأسلوب حياة المسلم والمؤمن والمحسن. الأمر الذى انعكس على ظاهرة العمران الإسلامى فابتعدت طرز العمارة والفنون الإسلامية عن كل المظاهر والأعمال التى تخالف العقيدة مثل التشبيه لله فيقول عز وجل: " لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ " (الشورى، ١١) أو الملائكة أو الجن فيقول أيضا " وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَكْبًا شَهَادَتُهُمْ يُسْأَلُونَ " (الزخرف، ١٩)، وتصوير أو تجسيد تماثيل للبشر والحيوانات وذوات الأرواح حيث نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن التماثيل والصور فى المنزل. ومن جهة أخرى كانت الموجهات العقائدية ملهمة لظهور روح جديدة فى العمارة والفنون الإسلامية التى اتخذت من الخط العربى والزخرفة الهندسية مصادر للإبداع والتميز وظهر حرف وصناعات إسلامية جديدة لقد كان لحديث " إن الله جميل يحب الجمال " (رواه مسلم والإمام أحمد) وآيات وصف الجنة ومنازلها، أثرا كبيرا فى شغف المعمارى والفنان المسلم بالإبداع والإتقان والتنوع داخل الوحدة الخطية أو الزخرفية.

٣- الموجهات التشريعية : وجهت ظاهرة العمران الإسلامى إلى أن العمران هو منظومة متوازنة بين الإنسان والبيئة وبين الإنسان والمجتمع ووضعت الأطر التشريعية للحقوق والواجبات بين أطراف هذه المنظومة لتكون البيئة العمرانية مستدامة اجتماعيا واقتصاديا وبيئيا ، ومن تلك الأطر إطار العلاقة بين الإنسان والأرض من حيث طرق وأساليب حيازة الأرض بالملكية أو حق الانتفاع أو حق الشفعة أو الإحياء إلى غير ذلك من الحقوق التى تضبط منظومة الإنسان والأرض والأنشطة المختلفة للأرض كالإيجارة والمزارعة.

والإطار الأهم من تلك الأطر إطار العلاقة بين الإنسان والإنسان ، والإنسان والجماعة كعلاقة حق الجوار وواجبات الجيرة وحقوق الطريق وحق المسلم على المسلم وواجب الضيافة وواجب النصح وواجب التعليم والإرشاد إلى غير ذلك من الموجهات التشريعية التى التزم بها وتوافق حولها واتفق عليها الإنسان والمجتمع الإسلامى، وكما كونت تلك الموجهات نسيجا اجتماعيا متماسكا متعاوننا على الخير له صبغة إسلامية فى جزئيات وتفصيل أسلوب حياته، أنتجت نسيجا عمرانيا وبيئيا عمرانية مترابطة متساندة فيزيقيا وبيئيا له طابع عمرانى ومعمارى إسلامى فى مختلف أنماطه وتكويناته العمرانية طرزه وتفصيله ومفرداته المعمارية. ولا أدل على ذلك من قول الرسول صلى الله عليه وسلم واصفا المجتمع المسلم " المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا " (رواه البخارى ومسلم) وقال أيضا " مثل المسلمين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو: تداعى له سائر الجسد بالسهر والحُمى " (رواه البخارى ومسلم).

٤- الموجهات البيئية : بالرغم من البيئة الصحراوية التى ظهر فيها الإسلام وعاش العرب معاناة ظروفها المناخية الصعبة والمواردية النادرة، إلا أن القرآن والسنة وجهت المسلمين إلى فهم الكون الذى يعيشون فيه بمكوناته ومفرداته، وضرورة المحافظة عليه والاستفادة من موارده الظاهرة والباطنة، وفهم وإدراك عناصر البيئة الطبيعية والتعامل معها وتمييزها وربط ذلك بالأجر والثواب والأمثلة على ذلك كثيرة فى القرآن والسنة فجاء فى الحديث " ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعاً فآكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة " (رواه البخارى)، واعتبر الرسول أن غرس الأشجار وتطهير الأنهار وحفر الآبار وغيرها من الأعمال النافعة صدقة جارية. وحددت السنة النبوية معايير التعامل مع

الماء كجوهر للحياة وضرورة شرعية للمسلمين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لا تسرف في الوضوء ولو كت على نهر جارى " (رواه البخارى). وقال تعالى عن الممارسات الخاطئة للعمران البشرى وضررها البيئى: " ظَهَرَ فَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ مَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذَيِّبَهُمْ بَعْضُ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ " (الروم، ٤١).

وقد أثرت الموجهات البيئية من القرآن والسنة فى تنوع وتعدد مظاهر اهتمام المسلمين بالبيئة والمحافظة على مواردها الطبيعية من التلوث والاستنزاف وأضرار التغييرات البيئية، ومن أهم نتائج الموجهات البيئية فى الظاهرة العمرانية الإسلامية هو تشييدها للمدن والتجمعات العمرانية، بعيدا عن الموارد والثروات الطبيعية كالأراضى الزراعية والمحافظة على أرض العامر وحريمه، وهو ما نشاهده فى مدن الجيل الثانى كالفسطاط والكوفة والبصرة والقيروان وغيرها من المدن والأمصار الإسلامية التى شيدت على أطراف الصحراء وحولت البيئات الصحراوية غير المعمورة بتضاريسها ومناخها القاسى وقلة مواردها الطبيعية وصعوبات الحياة بها إلى بيئات عمرانية مستدامة لاتزال تتبص بالحياة وتحمل فى نسيجها كل مقومات البقاء الاجتماعى والاقتصادى والبيئى حيث انتشار عمرانها وحدائقها وأنماطها وطرزها المعمارية وتكويناتها العمرانية.

الاستنباط الثانى : " مقاصد العمران " نظرية عمرانية إسلامية معاصرة

إن المدينة ليست مجرد تجمع من البشر فى مكان جغرافى واحد بل إن المدينة عبارة عن تفاعل حقيقى بين الإنسان والمجتمع وبين الإنسان والمكان، ولا يتم هذا فى فراغ بل تحكمة أطر فكرية عمرانية تعبر عن صيرورة لذلك المجتمع وهذا المكان (الأعظمى - مهادين، ١٩٩٤، ص٩). ومن هذا المنطلق يمثل هذا الجزء من البحث استنباطا فكريا أصيلا يعكس إطارا فكريا وتصورا لنظرية تفسر الظاهرة العمرانية الإسلامية وتبدوا (من وجهة نظر الباحث) إمتدادا للنظرية الأولى التى نشأ منها العمران الإسلامى وأبدع خلالها وتميز بها عبر الزمان والمكان. ولكن ماهو معنى النظرية والنظرية العمرانية المعمارية ؟. قد تعنى النظرية، فى حدها الأدنى، رؤية منظمة منهجياً بمجموعة من المفاهيم، والعلاقات، والتحويلات التى تعمل على تفسير ظاهرة معينة بهدف تكوين معرفة موضوعاتية Thematic حول طبيعتها البنوية، والصفاتية، والوظيفية. وتمثل النظرية بصفة عامة أساساً من أسس العلم الضرورية، ومبادئه الحدية، وإجراءاته المنطقية، لكنها بصفة خاصة تمثل العلم النظرى المجرد المتعلق بأى من أركان المعرفة الإنسانية وجوانبها الإبداعية (حنش، ٢٠١١، ص٣). وعليه فإن نظرية العمارة تعنى تلك الآراء ووجهات النظر والرؤى والتفسيرات التى قدمها دارسو الظاهرة العمرانية الإسلامية بكل مظاهرها، ومفاهيمها، وعلاقاتها، وتحولاتها فضلاً عن طبيعتها البنوية والصفاتية والوظيفية.

واستمرارا للبحث عن مدخل للنظرية العمرانية الإسلامية، ينطلق من ثوابت النموذج الثقافى الإسلامى ويرتكز على قاعدة علمية إسلامية منضبطة، تعتبر مقاصد الشريعة الإسلامية مدخلا جديرا بالبحث والدراسة، إذ إن الشريعة " وضعت لتحقيق مقاصد الشارع فى قيام مصالح الناس فى الدين والدنيا معا، ومقاصدها الخمسة حفظ النفس والنسل والعقل والمال والدين، التى هى أسس العمران أو "مقاصد العمران" والتى لولاها لم تجر مصالح الدنيا على استقامة ولفانت النجاة فى الآخرة " (الشاطبى، ص٣). وتمثل الشريعة التى هى مقاصد العمران السدة واللحمة التى نسجت منها مختلف "فنون المكان" الأربعة فى الحضارة الإسلامية وهى فنون العمارة وهندسة المناظر الطبيعية

وتصميم المدن والريف وفنون النحت والزخرفة الإسلامية (الفاروقى، ص ٥٧٣).

• **تكوين البيئة العمرانية من تنازعات حكم الأعراف إلى توافقات مقاصد الشريعة :**

إن الإنسان/المجتمع فى رحلة البحث عن عالم أفضل بيئة ومجتمع وعمران منشغل دوماً بمهمة حل المشاكل التى تنشأ عن تقييمه لوضعه ولبينته وهى الأوضاع التى يحاول تحسينها بالتجربة والخطأ (بوبر، ص ٧)، وخلال ذلك وبسببه فإن الأفراد المشاركين فى تكوين البيئة العمرانية ولاختلاف قيمهم ومذاهبهم الفكرية Ideologies قد يتفقون أو يتنازعون ومن ثم يصدرن أو تصدر لهم القوانين ويسيطرون على بعضهم البعض، أى أن عملية تكوين وبناء البيئة العمرانية تؤدى إلى صراع بين الأفراد المشاركين فى تكوينها وتلتاقى ذلك الصراع أنشأت قوى المجتمع ومؤسساته مجموعة من الأعراف والأنظمة العمرانية التى يتمكنون من خلالها من معرفة ماهو مسموح ومحظور عليهم عمله (أكبر، ص ٣١)، وهكذا فإن حكم الأعراف قد يتجاوز عن حفظ حقوق وحماية النفس أو النسل أو المال أو العقل أو الدين لصالح طبقة على حساب طبقات أخرى.

ولطالما كانت الأنظمة والقوانين والأعراف العمرانية محل تنازع بين الأفراد وعدم توافق بين المؤسسات والطبقات المشاركة فى تكوين العمران، حيث سعى أصحاب السلطة والنفوذ والمال إلى انتزاع مميزات عمرانية انعكست على نسيج العمران من وجود مناطق عمرانية مميزة فى الموقع والموضع والمساحة والنمط المعماري، بينما تعاني أغلبية مناطق البيئة العمرانية من مظاهر الإهمال والعشوائية، ويظهر ذلك فى أن معظم الآثار الموجودة هى عمارة وعمران الملوك وأصحاب السلطة، بينما تخفى عمارة وعمران الشعوب ولا يوجد من آثارها إلا القليل (رابوبورت، ص ١). لقد كان نموذج (المدينة-الدولة City-State) الذى ساد أوروبا خلال الحقبة الإغريقية والرومانية وعكس المساوى الاجتماعية والاقتصادية والأمنية والسياسية للنموذج الحضارى الإمبراطورى ومفاهيمه الثقافية والحضارية، هو السبب المباشر فى انهيار الإمبراطورية الرومانية حيث عكس مفهوم التفاوت والتمييز والتميز الطبقي بين السكان، " فبرغم روعة المباني إلا أن مدينة روما - شأنها شأن أثينا - لم تكن تهتم بتطوير الأحياء المتخلفة التى يقطنها الفقراء، فما أن يغادر المرء بوابات المدينة حتى يجد نفسه وسط شوارع ضيقة تخترق المناطق التى يعيش فيها العامة. وإذا كان الرومان قد أقاموا ميادين عامة ضخمة وشقوا كثيراً من الطرق بفضل الضرائب التى فرضوها على السكان إلا أن الجماهير الفقيرة لم تكن تتمتع بحق الوقوف فى هذه الميادين والمرور فى تلك الطرقات " (الحسينى، ص ٢٢-٢٤). وبذلك فالمدينة فى ظل هذا النموذج كانت للبعث وليست لكل سكانها أى لفئة دون المجتمع مما أدى إلى تخلى سكانها عنها حتى أن مدينة روما خلال فترة الانحلال بعد سقوط الإمبراطورية قد تحللت حتى وصل عدد سكانها إلى ٢٠ ألف نسمة فقط، بعد أن كان يقترب من المليون نسمة فى القرن الميلادى الأول (على، ص ٢٤).

وعلى خلاف ذلك فقد نشأت البيئة العمرانية الإسلامية من الفكر النبوى لتتحقق مقاصد الشريعة الخمسة التى هى أسس العمران الإسلامى ومقدرات ومكتسبات الإنسان (نفس وعقل)/المجتمع (نسل ودين) والبيئة (مال) وتمكينه من الضروريات العمرانية والمعمارية، ثم تطورت معه خلال العصر الراشدى والأموى لترتقى بحاجيات الظاهرة العمرانية التى بدأت تتحدد فيها ملامحها العمرانية والمعمارية، ثم أخذت الظاهرة العمرانية الإسلامية تزدهر وتبدع من خلال التحسينيات التى أضافت للعمارة والعمران الإسلامى التفرّد والتميز، وهكذا يعكس النسيج العمرانى للمدن الإسلامية والذى يتسم بالتضامن والتجانس فى مساحات ومواقع ومواضع وتكوينات وطرز عناصره العمرانية والمعمارية، قدرة المقاصد على تكوين وبناء تجانسا وترابطا وتماسكا عمرانيا عمليا وظيفيا بين أفراد المجتمع الإسلامى بلا تمييز

طبقى أو عرقى، وهكذا تمكنت مقاصد الشريعة من معالجة وإصلاح الخلل والمشاكل العمرانية التى نشأت بفعل الأنظمة الجبرية والقوانين المتحيزة وأحكام الأعراف المتجمدة، وتوضح الأشكال من رقم (٢٥ - ٣٠) النسيج العمرانى المتضام والمتجانس لمدينة القاهرة التاريخية كغيرها من المدن الإسلامية ويعكس أسلوب حياة لم يتعرض للتحلل والهجر العمرانى منذ نشأته وحتى الآن، وما زالت الأنشطة العمرانية بالمدينة تعمل وتحمل معها خصائص ومقومات الاستدامة الاجتماعية والاقتصادية والبيئية (على،جودة، ٢٠١٤، ص١).



الأشكال من رقم (٢٥ - ٣٠) النسيج العمرانى المتضامن والمتجانس لمدينة القاهرة التاريخية

• الطبيعة البنوية للظاهرة العمرانية الإسلامية (تضافر مقاصد العمران الإسلامى) :

وتكتسب الظاهرة العمرانية الإسلامية طبيعتها البنوية من المنظومة البنائية لمقاصد العمران وطبيعتها البنوية، فالمقاصد لاتعمل منفصلة ولكنها تعمل كمنظومة متساندة ومتضافرة twined مع بعضها البعض ولا يكاد يخلو مظهر من مظاهر العمران والعمارة الإسلامية من مقصد أو اثنين أو أكثر يفسران طبيعته البنوية والوظيفية وينعكسان على مكوناته ومفرداته المعمارية وفراغاته الداخلية وكتلته الخارجية وموقعه وموضعه داخل النسيج العمرانى المقاصدى للمدينة وعلاقاته بين ما يجاوره من وحدات ووظائف عمرانية تستكمل تضافر مقاصد العمران الإسلامى. فالمسجد كأحد أنماط الظاهرة العمرانية الإسلامية منذ نشأته بالفعل والفكر النبوى، قد عكس حاجة الإنسان/المجتمع الإسلامى إلى بيئة عمرانية وفراغ عمرانى يحقق لهم مجموعة من ضروريات أسلوب حياتهم ومعتقداتهم الجديدة، فراغ يحفظ لهم شعائر دينهم، هدوء نفسيتهم وخشوعها للشعائر، للتجمع والمشورة فى أمور دينهم والتعلم من نبيهم،

يعيدون فيه صياغة عقولهم ووجدانهم، وهى احتياجات مازالت تتحقق داخل فراغ المسجد وتحقق مقاصد الشريعة من حفظ النفس والعقل والدين، وهكذا اكتسب المسجد منذ نشأته بالفعل والفكر النبوى تصميمه المعمارى وموضعه العمرانى داخل النسيج العمرانى للمدينة الإسلامية من منظومة المقاصد.

وتوضح الأشكال من رقم (٣٦-٣١) على الترتيب، جامع الأزهر بالقاهرة ويلاحظ تصميمه على النموذج النبوى فناء وأروقة، وكذلك مسجد قرطبة والمسجد الأموى ومسجد تطوان ومسجد القيروان ومسجد مدينة جرداية بالجزائر ويلاحظ توسطها بين النسيج العمرانى للمدن (المصدر: الشبكة العنكبوتية).



شكل رقم ٣١- مسقط أفقى لجامع الأزهر بالقاهرة



الأشكال من رقم ٣٢-٣٦ توضح المسجد وتوسطه للنسيج العمرانى فى مسجد قرطبة، المسجد الأموى بدمشق، مسجد تطوان الكبير بالمغرب، المسجد الكبير بالقيروان تونس، المسجد الكبير بمدينة جرداية الجزائر (المصدر: الشبكة العنكبوتية)

ويعد المسكن أحد أهم أنماط الظاهرة العمرانية الإسلامية التى حققت نظرية مقاصد العمران، حيث عكس ترتيب وتركيب وتصميم عناصره وفراغاته المعمارية الداخلية والخارجية وعلاقاته التكوينية التجميعية (التي كونت النسيج العمرانى للمدن الإسلامية) قيم التجاور والترابط والمواخاة المستتبطة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وهى متعددة ومتنوعة تغطى مقاصد الشريعة. فمدخل المنزل المكون المنكسر مصمم لتحقيق مقصد إبعاد أعين الغرباء عن رؤية ما فى داخل البيت من نساء وذرية ومال (أثاث وفرش وزينة).

وكذلك عدم تقابل أبواب البيوت بل تباعدها كان لتحقيق مقصد الستر وحفظ النفس والنسل (العرض والذرية) والمال والدين. يقول الله عز وجل: " قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ مِمَّا يَصْنَعُونَ * وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا " (النور، ٣٠-٣١)، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه " (متفق عليه) وحديث " لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه "، وقال

أيضا " لأن أربعين دارا جارا " (ضعفه ابن حجر فى فتح البارى)، والأحاديث والآيات كثيرة وهى أيضا مندرجة من مستوى الضروريات إلى الحاجيات إلى التحسينيات فى تناغم وظيفى تكوينى يبنى نسيجه ويطوره ويضبط تغيراته العمرانية والثقافية والبيئية . وماتجاور البيوت والمنازل والدور فى المدن الإسلامية وتلاحمها مع الأسواق والمساجد والزوايا والوكالات وتشابك الشوارع وتداخلها إلا لتحقيق مقاصد العمران عبر تكوين وصياغة نسيجا عمرانيا تعكس تكويناته العمرانية ترابطه الاجتماعى وتكافله الاقتصادى وتوافقه البيئى.

• الطبيعة الوظيفية للظاهرة العمرانية الإسلامية (فقه مقاصد العمران الإسلامى) :

يمثل توفير وتلبية احتياجات الإنسان الوظيفة المحورية لظاهرة العمران البشرى على الأرض، فالإنسان فى سعيه للبحث عن حياة أفضل يتحرك لتوفير الطعام والشراب والمأوى وغيرها من "الاحتياجات الفسيولوجية Physiological Needs"، ثم يعمل على توفير الأمن والأمان والسلامة الجسدية وغيرها من "الاحتياجات الأمان Safety Needs"، وتقوده حركته للبحث عن صداقات وتكوين علاقات أسرية ومجتمعية تشكل مجموعة "الاحتياجات الاجتماعية Social Needs"، ثم يبحث عن وضعه ودوره داخل مجتمعه من تقدير واحترام أو "الاحتياج للتقدير Esteem Needs"، وتمثل قدرته على تحقيق الذات وحل المشكلات أعلى احتياجات الإنسان أو "الحاجة لتحقيق الذات Self-Actualization Needs"، وتشكل هذه الاحتياجات ما يعرف بهرم الاحتياجات البشرية أو ما يعرف بهرم Maslow's Hierarchy of Needs ، الذى يوضحه الشكل (رقم ٣٧) (المصدر: الشبكة العنكبوتية).



شكل رقم ٣٧- هرم الاحتياجات البشرية Maslow's Hierarchy of Needs

ويتنوع تحقيق هرم الاحتياجات البشرية فى الواقع العمرانى عبر الزمان والمكان فتتنوع الظاهرة العمرانية وتعكس مخرجاتها قدرتها على استيعاب وفهم الغاية من العمران البشرى وتلبية احتياجات الإنسان/المجتمع وفقا لمرجعياتها الثقافية، وإذا ما قارنا بين هرم Maslow's Hierarchy of Needs وبين منظومة مقاصد الشريعة للإمام الشاطبى نجد تشابه بين احتياجات ماسلو ومقاصد الشريعة الخمسة التى هى مقاصد العمران الإسلامى، بل تتفوق منظومة المقاصد لشموليتها، وتدرج مستوياتها وإحكام آلياتها التنفيذية وتوافق مرجعياتها.

ومن فقه مقاصد العمران اكتسبت الظاهرة العمرانية الإسلامية طبيعتها الوظيفية التى انعكست خصائصها وقيمها على مختلف مكوناتها ومخرجاتها ومظاهرها العمرانية والمعمارية، حيث ابتعدت وظيفة العمران الإسلامى عن الترف والسرف والإبهار والعبث والتجسيد والتصوير والغموض والظلم المكانى وإهدار الموارد والحقوق استجابة للأمر والنهى الإلهى والنبوى مثل قوله تعالى: "وكلوا وأشربوا ولا تسرفوا"، "أبنون بكل ريع آية تعبثون". واستطاعت من خلال استيعاب فقه

المقاصد أن تحقق العدالة المكانية العمرانية بلا تدخل أو تحيز فلا تكاد تجد تمييزاً مكانياً طبقى داخل النسيج العمرانى للمدينة " وأن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده "، وحافظت على الموارد والثروات الطبيعية من الاستنزاف والتدمير والتعدى " والأرض وضعها للأنام "، وعلى حقوق الإنسان والأسرة بين أفراد المجتمع يقول الله تعالى " وَاَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنْبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ " (النساء، ٣٦). كما يعكس تنوع وتعدد عناصر وأنماط العمران داخل المدن الإسلامية من أسبله وكتاتيب وبيمارستانات ووكالات ومدارس وخانقاوات، استيعاب فقه مقاصد العمران لمختلف احتياجات الإنسان/المجتمع الإسلامى وأنشطته العمرانية المتدرجة من مستوى توفير ضروريات العمران وهى التى تتوقف عليها حياة الناس بحيث لو فقدت اختلت الحياة، ثم تطوير حاجيات العمران التى يحتاج إليها الناس لرفع المشقة ودفع الحرج عنهم لترتقى بالحياة إلى مستوى التحسينات فى الطرز والأنماط والتكوينات العمرانية والمعمارية لتتنشئ عمراننا يتوافق وأسلوب حياة الإنسان/المجتمع الإسلامى.

ومن جهة أخرى ساعد فقه المقاصد الطبيعية الوظيفية للظاهرة العمرانية الإسلامية فى استنباط مايبينى وما لايبينى من أنماط عمرانية ومعمارية، ولماذا يبينى وأين يبينى وتحديد أفضل أماكنها ومواضعها ومكوناتها الفراغية المعمارية داخل المدينة ، حيث قسم الفقهاء أحكام البناءات إلى أربعة أقسام رئيسية هي **البناء الواجب** (بناء المساجد لتقام فيها الصلوات، وبناء الحصون والأربطة للدفاع عن ديار المسلمين). **البناء المندوب** (بناء المنائر والتي تندب للأذان وبناء الأسواق، حيث يحتاج الناس للسلع. ولكي لا يتكلفوا عناء البحث عنها، فندب الشرع لذلك بناء الأسواق لكي يستقر بها أصحاب السلع، ويسهل للناس شراؤها منهم). **البناء المحظور** (بناء دور السكر ودور البغاء والبناء على المقابر وفي أرض الغير). **البناء المباح** (بناء المساكن التي تبني بهدف الاستغلال، فمن المعروف أن الشريعة جاءت لحفظ المقاصد الخمس: الدين، النفس، المال، العرض والنسل، والله جعل أسباباً مادية يقوم بها البشر، كي يحققوا تلك المقاصد، ومن هذه الأسباب بناء المساكن والدور ليحفظ فيها الناس أنفسهم وأموالهم وأعراضهم، وتقوم فيها الأسر).

كما تحددت وفقاً لفقه المقاصد قواعد تنظيم البيئة العمرانية ووظائفها من تحديد مواقع الأسواق وتنظيمها داخل المدينة " إذ إن لكل صنعة وسلعة سوقا يختص بهاتوتعرف صناعتهم فيه، فحول المسجد كمركز دينى وثقافى يطالعك سوق الشموع والبخور والعمار وسوق الكتب والوراقين، يجاوره سوق الجلود وأسكفة ثم سوق البزازين ... وبالقرب من بوابات المدينة تجد دكاكين النجاريين والفقاليين والنحاسين والحدادين " (جرونهاوم، ص١٤٦-١٤٧). وتحددت العلاقة بين المناطق السكنية والصناعات من حديث "لاضرر ولا ضرار" بإزالة أسباب الضرر الواقع على المساكن من مصادر دخان أو رائحة أو ضوضاء (الهذلول، ص٥٧-٧٠). ويوضح الشكل رقم ٣٨- توزيع الأسواق والصناعات حول القصبة التاريخية للقاهرة الفاطمية (المصدر: Ahmed Yousry Hala Mekawy, Transformations in Traditional Marketplaces in Fatimid Cairo, faculty of urban and regional planning, (Cairo University, Egypt).



شكل رقم ٣٨- توزيع الأسواق والصناعات حول القصبة التاريخية للقاهرة الفاطمية

الاستنباط الثالث : من التنظير الفكري إلى التطبيق العملي (نتائج وتوصيات البحث)

انطلاقاً من البناء العلمي للبحث والذي شمل المقدمات الاستقرائية السابقة لتاريخ ومراحل ظاهرة العمران الإسلامي من رفع القواعد إلى اكتمال النموذج، ومن الاستقراء المقارن للنظرية المعمارية من منظور تاريخ الفكر والبيئة الغربية والنظرية المعمارية في الفكر العمراني الإسلامي ، وشمل المخرجات المستتبطة منها والتي احتوت موجّهات العمران الإسلامي وتمثل وجدان النظرية العمرانية والمعمارية الإسلامية الذي صاغ عقلية البناء والمهندس والمعماري والفنان المسلم وتشبعه واستيعابه لمقاصد الشريعة الإسلامية الأمر الذي ارتكز عليه الباحث في صياغته "مقاصد العمران" كنظرية عمرانية معمارية إسلامية معاصرة. فقد خلص البحث بعد هذه المنطلقات العلمية البحثية إلى مجموعة من النتائج والتوصيات يمكن أن تشكل منطلقات بحثية مستقبلية :

• استنتاجات البحث من الاستقراء إلى الاستنباط (نتائج البحث) :

- ١- تمثل الحضارة الإسلامية أحد أهم مراحل الإنجاز الحضاري **Civilization Achievement** التي أثرت حركة الإنسان على الأرض، ويحتل العمران والعمارة الإسلامية وعانها المادى وأحد روافدها مكانة متميزة بين مختلف الأنماط العمرانية والمعمارية التي عرفتها الحضارة البشرية عبر الزمان والمكان.
- ٢- العمران الإسلامي يمثل ظاهرة عمرانية غير مسبوقه ليس فقط بما قدمته من تكوينات عمرانية تخطيطية وتنويعات وتشكيلات معمارية متفردة ، ولكن ويقدر أهم ما قدمته تلك الظاهرة كنموذجاً عمرانياً متكاملًا عبر بصدق عن شخصية وخصائص المجتمع الإسلامي وغايات ومقاصد نموذجها الثقافي (عقيدة وشريعة وأخلاق) التي كانت وراء التجربة المادية الإبداعية.
- ٣- يبدأ التاريخ العملي لظاهرة العمران الإسلامي من الهجرة النبوية إلى المدينة حتى وفاته (صلى الله عليه وسلم) وقيام أمة المدينة، حيث اقترن العصر النبوي بالبناء والعمران ورفع قواعد وأسس جديدة لعمران المدينة وعمارته، ويعد الفكر النبوي العمراني والمعماري وأسلوبه (صلى الله عليه وسلم) وطريقته في تصميم المسجد النبوي وتخطيط المدينة، غير مسبوق في الفكر العمراني وأصبح نموذجاً يحتذى به في العصر الراشدي وعصور الخلافة الإسلامية .

٤- كشف استقراء نشأة وتطور النظرية المعمارية الغربية عن أن الفكر المعماري الغربى كان له اهتمام كبير فى تدوينات الرواد أو الآباء المؤسسين وشكل ركيزة للتطور بالنقد والتغيير أو التجديد أو النقص ، وهو بذلك لايقف عند حد ولا يرتبط مع الزمن بنظرية واحدة أو اتجاه واحد، فالحركة المعمارية التى ظهرت فى أوروبا وأمريكا تأثرت بالعديد من النظريات والاتجاهات الفكرية والفنية والسياسية والاجتماعية التى ظهرت فى أوقات متتالية ومتزامنة فى بيئات مترابطة متفاعلة ، كما يكشف عن دور المعماريين فى صياغة تلك النظريات فكريا وعمليا وتطبيقيا فى أعمالهم حتى أصبحت جزءا من التاريخ المعماري المعاصر .

٥- من تحليل النظرية العمرانية والمعمارية الغربية يتضح أنها لا تتضمن الجانب العقائدى أو الدينى فى تكوينها الفكرى. وأن الإنسان هو العنصر الغائب فى النظرية المعمارية الغربية التى تعتمد على الإبداع الفردى دون مشاركة الجماعة أو المجتمع بكل مستوياته فى الإنجاز العمرانى والمعماري.

٦- يضم البحث عن النظرية العمرانية والمعمارية من المنظور الاسلامى مجموعات متعددة ومتنوعة الرؤى التفسيرية والتنظيرية من المفكرين والمعماريين القدماء أو المعاصرين المسلمين والمستشرقين ، يتجه بعضهم إلى اتباع منهج المعماريين والمنظرين الغربيين ويحاول أن يوجد الشبه بين النظرية الغربية والإسلامية ويبعد كل القيم والمفاهيم الإسلامية عن منهج التحليل والبحث عن النظرية العمرانية والمعمارية الإسلامية.

٧- ينكر بعض المستشرقين وجود نظرية للعمران الإسلامى أو وجود عمران إسلامى ويعتبره فوضوى ويتبعهم بعض المعماريين والمخططين المسلمين والعرب، والبعض الآخر يؤكد على وجود عمران إسلامى ولكنه يفسره من خلفياته الثقافية الغربية، وهنا مصدر الخطر والخلل الفكرى الذى تتعرض له النظرية العمرانية والمعمارية الإسلامية فالإسلام حضارة متكاملة ترسم حياة الفرد كما ترسم حياة المجتمع فى كل زمان ومكان وتشكل أسلوب حياته ومنظومة قيمه ووجدانه الفكرى والتطبيقى، ومن هنا لابد من الاستمرار فى البحث عن المدخل العقائدى لتحديد المنظور الإسلامى للنظرية المعمارية .

• انطلاقا من البحث من التنظير إلى التطبيق (توصيات البحث) :

١- إن البحث عن نظرية عمرانية معمارية إسلامية معاصرة سواء كانت مستنبطة من التراث العمرانى والمعماري والفنى للحضارة الإسلامية أو كانت مبتدعة من مرجعية فكرية أو فلسفية ما، لاتقع مسئوليته على عاتق المعماريين أو المخططين فقط بقدر ماتقع على عاتق المفكرين والأدباء والعلماء والمتقنين والفنانين العرب والمسلمين الذين يعبرون عن وجدان الإنسان/المجتمع الإسلامى المعاصر .

٢- ومهما يكن الأمر فإن النظرية العمرانية والمعمارية الإسلامية التى نبحث عنها أو نقدمها ليست فلسفة فكرية مجردة ولكنها أساس يحتاج للتطبيق والقياس والتنظير . أى أن نظرية عمرانية أو معمارية فى كل الحالات يجب أن ترى طريقها إلى التطبيق والتقييم والتعديل والنقد وإعادة الصياغة ، وإلا فقدت النظرية مقوماتها الفكرية والتفسيرية وقدرتها على البقاء .

٣- ضرورة مواجهة الغزو الثقافى الغربى على مختلف الأصعدة الحضارية بإعادة الاعتبار للغة العربية وإعادة اكتشاف التراث الثقافى والعلمى الإسلامى وتوظيفه لإعادة بناء النموذج العمرانى الإسلامى المعاصر .

٤- البحث عن الذات كبديل للتبعية الثقافية والفكرية في العمارة وال عمران والتأكيد على أهمية المرجعية الفكرية الإسلامية ودورها في إحياء البيئة العمرانية التراثية وتكوين وتشكيل العمران الإسلامي المعاصر .

٥- الاهتمام بحرية الفكر والتعبير والإبداع العمرانى والمعمارى والفنى في إطار القيم الإسلامية ومن خلال الموروثات العمرانية والمفردات المعمارية، والتخفيف من تأثيرات القوانين والتشريعات العمرانية الحالية على الحد من وتعطيل وتقييد حرية الإبداع والتعبير وتقديم بيئة عمرانية ومعمارية لاتعكس قيم المجتمع الإسلامى.

٦- التأكيد على أن عملية العمران والعمارة الإسلامية هي منتج اجتماعى أكثر منه إنجاز فردى ؛ وذلك بإعادة الاعتبار للمشاركة المجتمعية وتمكين المجتمع من حيازة الأرض ومواد وطرق البناء والتدرج فى تكوين التنمية من المحليات والمعماريين والمجتمع.

٧- تكثيف الدراسات والأبحاث الفردية والجماعية حول الظاهرة العمرانية والمعمارية الإسلامية وتقديم تفسيرات ورؤى فكرية وتنظيرية حول تنوعها العمرانى والمعمارى وكشف أسرارها الجمالية والوظيفية. عبر إنشاء وحدات علمية وبحثية توثيقية وتحليلية بالجامعات العربية والإسلامية وهنا يظهر دور رابطة الجامعات الإسلامية فى إنشاء هذه الوحدة الدراسية العلمية لتكوين وبناء نموذج العمران الإسلامى القديم والمعاصر .

مرجعيات الاستقراء والاستنباط (مراجع البحث) :

- القرآن الكريم وكتب الحديث (صحيح البخارى، صحيح مسلم، مسند الإمام أحمد)
- أبى إسحاق الشاطبى؛ إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطى المالكي، الموافقات فى أصول الشريعة، شرحه فضيلة الشيخ عبد الله دراز، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- ابن خلدون، مقدمة العلامة بن خلدون، ١٩٩١م، دار ومكتبة الهلال، بيروت لبنان.
- د. إدهام محمد حنش، بحث نظرية الفن الإسلامى عند المفكر إسماعيل الفاروقى، ٢٠١١، مؤتمر " إسماعيل الفاروقى وإسهاماته فى الإصلاح الفكرى الإسلامى المعاصر، جامعة اليرموك والمعهد العالمى للفكر الإسلامى وجامعة العلوم الإسلامية العالمية، الأردن.
- د. إسماعيل راجى الفاروقى ود. لوس لمياء الفاروقى- ترجمة د. عبد الواحد لؤلؤة، أطلس الحضارة الإسلامية، ١٩٩٨م، الطبعة الأولى، مكتبة العبيكان، الرياض.
- د. جمال حمدان، العالم الإسلامى المعاصر، ١٩٩٠م، عالم الكتب، القاهرة
- د. جميل عبد القادر أكبر، عمارة الأرض فى الإسلام، ١٩٩٢م، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة.
- د. حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، ١٩٨٧م، الزهراء للإعلام العربى، القاهرة
- خالد محمد عزب، تخطيط وعمارة المدن الإسلامية، كتاب الأمة (عدد ٥٨) وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، قطر .
- د. سلامة أحمد على، مناهج العمران الإقليمى فى المجتمع الإسلامى رؤية مرجعية لمنهج عمرانى لإقليم مجتمع إسلامى معاصر، ٢٠٠١م، رسالة دكتوراة غير منشورة (كتاب تحت الإعداد)، جامعة القاهرة كلية التخطيط الإقليمى والعمرانى، القاهرة
- د. صالح بن على الهذلول، المدينة العربية الإسلامية أثر التشريع فى تكوين البيئة العمرانية، ١٩٩٤م، توزيع ص. ب. : ٨٨٩٥٢، الرياض ١١٦٧٢، المملكة العربية السعودية.
- د.عبد الباقي إبراهيم، المنظور الإسلامى للنظرية المعمارية، ١٩٨٦م، مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية، القاهرة
- د. عبد العزيز بن عبد الرحمن الكعكى، النسيج العمرانى للمدينة المنورة الخصائص والمقومات، ٢٠٠٧م، اللجنة التنفيذية لتطوير المنطقة المركزية فى المدينة المنورة، المدينة المنورة.
- على محمد الصلابى، عصر الدولتين الأموية والعباسية، ١٩٩٨م، دار البيارق، الأردن.

- د. فريد محمود شافعي، العمارة العربية الإسلامية، ١٩٨٢م، جامعة الملك سعود، الرياض
 - كارل بوير، بحثا عن عالم أفضل، ترجمة د. أحمد مستجير، ١٩٩٦م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
 - د. محمد السيد الحسيني، " المدينة " دراسة في الاجتماع الحضري، ١٩٨٠م، دار الكتاب للتوزيع، القاهرة .
 - د. منذر الأعظمي و د. كامل مهادين، قضايا حول المدينة العربية المعاصرة، ١٩٩٤م، مجلة البيت المفتوح ، المجلد الأول-
- The Urban International Press, Newcastle Upon Tyne, UK.
- د. محمد عبد الستار عثمان، المدينة الإسلامية، ١٩٨٨م، عالم المعرفة (عدد ١٢٨)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.

- Ahmed Yousry Hala Mekawy, Transformations in Traditional Marketplaces in Fatimid Cairo, faculty of urban and regional planning, Cairo University, Egypt.
- Amos Rapoport, House Form and Culture, 1996, Printice Hall Englewood Clifts, N.J., U.S.A.
- Dr. Salama Ali & Dr. Essam Gouda, Fatimid Cairo: a Sustainable Neighborhood from Medieval Times, research published in THE WORLD SUSTAINABLE BUILDING 2014 Conference SB14, organized by Green Building Council Espana (GBCe), OCTOBER 2014, BARCELONA, SPAIN.
- Vitruvius, THE TEN BOOKS ON ARCHITECTURE, Translated by Morris Hicky Morgan, 1960, first published, Dover Publications INC., NEW YORK.
- Von Grunebaum, G.E., " The Structure of the Muslim Town ", Islam:Essays in the Nature and Growth of Cultural Tradition, London: R.&K. Paul Ltd., 1969.